# المحاضرة السّابعة :

# المنهج التّاريخي "الإجراء".

**الكفاءات المستهدفة :**

**-أن يتعرّف الطّالب على مفهوم المنهج التّاريخي في دراسة اللّغة وأهمّ قضاياه التي يعالجها في هذه الدّراسة.**

**-أن يحدّد الطّالب السّمات المميّزة للمنهج التّاريخي في دراسة اللّغة.**

**-أن يتعرّف الطّالب على خطوات المنهج التّاريخي في دراسة اللّغة.**

**-أن يوظّف الطّالب هذا المنهج في بحوثه العلميّة .**

**تمهيد:**

هناك مجموعة من المناهج الأساسيّة في تاريخ الدّرس اللّغوي يجب على الباحث الإلمام بها ،ومعرفة حدودها وكيفيّة الإفادة منها في التّحليل اللّغوي كما يجب عليه أيضا أن يختار المنهج الذي يتناسب والموضوع الذي يبحث فيه ، وربّما يتبنّى أكثر من منهج ؛وهذا نابع من طبيعة الظّاهرة اللّغوية التي يدرسها[1] ،ومن بين هذه المناهج المنهج التّاريخي .

**أولا- مفهوم المنهج التاريخي :**

يقوم المنهج التّاريخي بدراسة اللّغة وتتبّعها في عصور مختلفة وأماكن متعدّدة ليرى ما أصابها من التّطوّر محاولا الوقوف على سرّ هذا التّطوّر وقوانينه المختلفة [2] ،أي أنّ الذي يبحث في اللّغة بحثا تاريخيّا يحاول بالضّرورة أن يحصر التّغيّرات التي تكون قد طرأت على اللّغة ،ويكون ذلك في شتّى الأوقات والمجالات المتعلّقة بها، «وهذا التّغيّر يحدث في كلّ الاتّجاهات (النّماذج الصّوتية و التّراكيب الصّرفية والنّحوية والمفردات ) ،ولكن ليس على مستوى واحد ،ولا طبقا لنظام معيّن ثابت، هذه التّغيّرات تعتمد على مجموعة من العوامل التّاريخية»[3] ، فأساس العمل بالمنهج التّاريخي هو تتبّع الظّاهرة اللّغويّة على فترات متعدّدة من الزّمن بقصد التّعرّف على ما أصاب اللّغة من تطوّر أو تغيّر في مختلف المستويات والباحث في إطار المنهج التّاريخي يسعى جاهدا إلى تتبّع ما حدث للّغة مع شرحه ، ثمّ تحديد أسباب ذلك ،ومن ثمّة الوصول إلى تعميمات قد تكون مادّة أساسيّة فيما يستقبل من تغيرات.

**ثانيا- بين المنهجين التّاريخي والوصفي :**

لا تقوم الدّراسة اللّغوية التّاريخية إلّا بعد الفراغ من المراحل المختلفة التي مرّ بها تاريخ اللّغة دراسة وصفيّة ، ومن النّظر في هذه الدّراسات الوصفيّة المختلفة للمراحل الزّمنيّة المتعاقبة يأتي تدوين تاريخ هذه اللّغة صوتيّا وفونولوجيّا ونحويّا وقاموسيّا ودلاليّا[4]، ويؤدّي هذا إلى تحقيق الدّراسة التّاريخية للغاية المنشودة منها ،وقيامها على أساس علمي سليم

---

[1] **منهج البحث اللّغوي**، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة ، الكويت ، 2000م ، ص 105.

[2] ينظر: **محاضرات في اللّسانيات المعاصرة**، بوقرة نعمان ،ص 09.

[3] **منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث**،علي زوين،ط1،دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد،1986م،ص 37.

[4] **علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي** ،محمود السّعران،ص 198.

ووصولها إلى درجة عالية من الدّقة والإتقان لتاريخ تلك اللّغة المدروسة [1].

لذلك فإن العلاقة بين المنهجين تلخّصها عبارة" إنّ لكل تاريخ يشتمل بالضرورة على الوصف ، والعكس ليس صحيحا"، ومعنى ذلك أن المنهج التّاريخي لا يستغني عن مبدأ الوصف وهو عدّته التي بها ينجز عمله ،فتتبّع أيّ ظاهرة لغويّة عبر فترات زمنية يعني وصفها وصفا دقيقا في كلّ مرحلة أوّلا ،وملاحظة ما أصابها من تطوّرعبر المراحل، ثمّ يأخذ الباحث التّاريخي بعد ذلك في استخلاص ما طرأ على اللّغة من تطوّر، أمّا من يعتمد المنهج الوصفي في دراسة لغة ما، فليس مطالبا بمعرفة شيء على الإطلاق عن تاريخ هذه اللّغة.

**ثالثا – قضايا المنهج التّاريخي:**

يُمكن تحديد أهمّ قضايا البحث اللّغوي وفق هذا المنهج كما يلي[2] :

- تطوّر اللّغة الواحدة عبر القرون في جميع جوانبها.
- حركة اللّغة وتطوّرها على مر الأزمنة وتغيّر الأمكنة.
- تطوّر اللّغة وحياتها في المجتمع.
- ارتباط اللّغة بوظيفتها في الجماعة اللّغوية.
- مستويات الاستخدام اللغويّ المختلفة في حياة كلّ لغة.
- أثر الاستخدام اللّغوي في بنيتها.
- أهميّة اللّغة الحضاريّة، ومكانتها بين اللّغات.
- الأصول التاريخيّة لكثير من الظّواهر اللّغويّة.
- التّغيرات التي تطرأ على أنظمة اللّغة في مستوياتها الأربعة :الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة؛ مع رصد العوامل المؤثّرة في تلك التّغيّرات.

ولا بأس من تقديم بعض الأمثلة التّوضيحيّة عن بعض هذه القضايا اللّغويّة التي يعالجها المنهج التاريخي ومنها:

– استحداث بعض العبارات والألفاظ لم تكن موجودة في الأصل اللّغوي ،ومن ذلك ما نسب

---

[1] ينظر: **منهج البحث اللّغوي**، محمود سليمان ياقوت، ص 110.

[2] ينظر:**في المناهج اللّغوية وإعداد الأبحاث** ،صالح بلعيد ،ص 49 ، وينظر أيضا: **منهج البحث الأدبي واللّغوي**، الرديني محمد علي عبد الكريم،وعبود شلتاغ،دار الهدى ، عين مليلة،الجزائر،2010م، ص 201–203.

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من كلمات وجمل استحدثها، ولم تسمع قبله نحو: حمي الوطيس ،لا يلدغ المؤمن من الجحر مرّتين.

– اكتشاف بعض الصّيغ الصّرفية الشّاذة لبعض الألفاظ استعملت أسماء وهي قد تكون مرحلة من مراحل التّطوّر الصّرفيّ لصيغة المضارع في العربيّة بقيت عالقة بالمرحلة الجديدة ، بعد أن استقرّ المضارع على صيغة (يفعل) ومن هذه الصيغ (يفعول) كيربوع ويعسوب وصيغة (يفعل) مثل يثرب وصيغة (يفعيل) مثل (اليعضيد).

–ومن الدراسات الصّوتية تطوّر صوت الجيم في مصر إلى صوت آخر يشبه القاف ، وهو موجود في بعض اللّهجات الجزائرية ، وهذا التّطوّر غير موجود في العربيّة .

– التّطوّر الدّلالي لبعض الألفاظ مثل كلمة الحجّ فقد كانت تعني القصد إلى أيّ مكان ،ثمّ تطوّرت وأخذت دلالة جديدة في العصر الإسلامي ،وأصبحت ركنا من أركان الإسلام وهي تدلّ على القصد إلى بيت الله الحرام.

**رابعا – سمات المنهج التاريخي في دراسة اللغة :**

يتميز المنهج التّاريخي بخصائص ،وسمات تفرّده عن بقيّة المناهج اللّغوية الأخرى في دراسته للّغة ، وهي كالآتي:

**4-1: الاهتمام باللّغة المكتوبة:** يعتمد المنهج التّاريخي على اللّغة المكتوبة لا المنطوقة لأنّ المكتوب «هو الجزء الثّابت من اللّغة الذي يمكن أن يخزّن ،عكس الخطاب المنطوق الذي يزول بمجرد الانتهاء من الحديث»[1] فهي غير مسجلة، وإنّما نقلت إلينا بواسطة الخطّ المكتوب.

**4-2:الزمان:** من أهمّ الأسس التي اعتمد عليها علم اللغة التاريخي في التحليل «هو الحركيّة والتّطوّر أي أنّ الظّاهرة اللّغويّة في تغيّر وتطوّر مستمر؛ لذا لابّد من تتبّع وتفحّص تاريخها ،وذلك على كل مستوياتها ،فيحدّد الباحث تطوّرها واندثارها وانحسارها وصراعها مع اللّغات الأخرى ،وما آل إليه هذا الصّراع»[2] ،وذلك في مراحل زمنيّة مختلفة لبيان التّغيّرات التي لحقتها، وتحديد الأسباب والنتائج.

---

[1] **في جدوى المنهج التّاريخي"قراءة في الأبجديات و المزالق"** ،فرحات بلولي،اليوم الدراسي حول المناهج، كلية الآداب واللغات، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص 158 .

[2] **المرجع نفسه**، ص 161.

**4-3: المكان:** لا يحدّد المنهج التاريخي المكان عكس المنهج الوصفي «فيبحث اللغوي المشتغل تحت مظلّة المنهج التّاريخي على كل المصادر التي تتحدّث أو تذكر اللّغة في فترة من الفترات ، فيأخذ الذّين يعتمدون على هذا المنهج بكلّ ما هو موجود في المصادر مهمّا كان مكانها المهّم أن تنتمي إلى اللّغة المذكورة»[1] ،فالوظيفة الأساسيّة في هذا المنهج هي أن يمرّ الباحث بالأزمان المتعدّدة ،والأماكن التي عاشت فيها اللّغة شرط عدم تجاوز المراحل الزّمنيّة المحدّدة، ولا المكان والمستوى المحدّدين، لكي لا تضطرب النّتائج[2].

**خامسا: خطوات المنهج التاريخي في دراسة اللغة:**

إنّ من أهمّ خطوات المنهج التّاريخي ما يلي[3]:

**5-1: تحديد موضوع الدّراسة:**يكون هذا التّحديد وفقا لما هو متعارف عليه لكن أهميّته تعود إلى ضرورة تحديد مكان وزمان اللغة المراد دراستها ،ومن ثمّة تبنى بعض الفروض التي يجب إثباتها في حدود المنهج العلميّ المعترف به.

**5-2: الاستقراء:** وهو جمع البيانات والمعلومات التي تتّصل باللّغة المدروسة والمنهج التّاريخي يبحث في كلّ ما ورد عن اللّغة في النّقوش والمصادر المكتوبة...ففي اللّغة العربية يجب العودة إلى أمّهات الكتب كما يمكن العودة إلى النقوش كالتي في النمارة و أم الجمال ، إضافة إلى مصادرها (القرآن الكريم و الحديث الشريف والشعر الجاهلي...).

**5-3: نقد مصادر المعلومات:** إذ لا يكتفي الباحث في المنهج التّاريخي بالمصادر والوثائق على أنها حقيقة ويقين مطلق ؛بل هو ملزم بنقدها خارجيّا عن طريق توخّي البحث عن صحّة نسب الوثيقة والقول والمصدر، وداخليا بتحديد المضمون الفعليّ للوثيقة ،ومدى تجانسها أو عدم تناقض محتوياتها.

**5-4: الاستدلال واستخراج القوانين المطّردة :** بعد الانتهاء من عمليّة النّقد يلجأ الباحث إلى تأليف المادّة المتناثرة وجعلها في نسق متجانس ويظهر في هذه الخطوة دور الاستدلال فيشرح اللّبس بردّه إلى أصوله وعلله ،ويكمل إن اقتضى الأمر ما تبقّى من أجزاء حلقات اللّغة إن لم يعثر على مادّة موافقة لتلك الحلقة المفقودة ،ويجب في كلّ الأحوال أن يعتمد

---

[1] **في جدوى المنهج التّاريخي"قراءة في الأبجديّات و المزالق"**،فرحات بلولي ، ص 161.

[2] ينظر :**في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث**،صالح بلعيد، ص43-44.

[3] **في جدوى المنهج التّاريخي"قراءة في الأبجديّات و المزالق"**،فرحات بلولي، ص 162-163-164.

على مقتضيات العقل في تكملة كل حلقة من الحلقات المفقودة من اللّغة.

**تقويم تحصيلي:**

**السّؤال:** المنهج التاريخي يقدّم لنا إجراءات مهمّة لتحليل اللّغة ، ولهذا المنهج إيجابيات وسلبيات في هذه الدّراسة ، حاول أن تستنتج ذلك (نظّم إجابتك في جدول) .

**الإجابة النموذجية:**

للمنهج التّاريخي إيجابيّات وسلبيّات يمكن تبيانها في الجدول التّالي:

| إيجابيّات المنهج التّاريخي | سلبيّات المنهج التّاريخي |
|---|---|
| – ترتيب أفكار البحث وفق التّسلسل الزّمني –التّعرّف على أصل الظّاهرة اللّغويّة ،وتتبّع فروعها وفق تسلسل زمنيّ ،ومعرفة العوامل التي تسهم في تطوراللّغة.<br>– فهم دلالات الألفاظ في إطار سياقاتها المختلفة . | – إهمال الوصف العميق والدقيق للّغة بمختلف مستوياتها لأنّ التركيز في هذا المنهج سيكون منصبّا على الظّروف الخارجيّة التي أسهمت في تغيير وتطوير اللّغة .<br>– إغفاله للّغة المنطوقة وتركيزه على المكتوبة مما يؤدّي إلى تغييب العديد من القضايا اللغوية المهمّة التي يكون ظهورها في الكلام أكثر من الكتابة كالنّبر والتّنغيم.<br>– عجزه عن تفسير بعض الظّواهر اللّغويّة التي لا تمتلك عن تاريخها أدلّة كافية ، وبالمقابل فهو يعلي من شأن اللّغات التي لها تاريخ عريق من خلال المخطوطات والوثائق والنّقوش.<br>–افتقاره إلى الموضوعيّة فغالبا ما تطغى ذاتيّة الباحث المستعمل لهذا المنهج. |